

أعلام المذهب الأشعري في المشرق ومناهجهم

أهداف الدرس

1. أن أتعرف أهم أعلام المذهب الأشعري في المشرق؛
2. أن أستنتج أهم خصوصياتهم المنهجية وآثارهم الفكرية الأشعرية؛
3. أن أتمثل مناهجهم في العقيدة.

تمهيد

بعد ما أسس الإمام أبو الحسن الأشعري مذهبه، وحدد أصوله، وبين قواعده؛ حمل لواء هذا المذهب عدد من العلماء الأعلام في المشرق، فشرخوا قواعده وبسطوا مسائله، وأسهموا في نصرته والدفاع عن مبادئه بالحجة والبرهان، فكان لهم الفضل في نشر هذا المذهب في المشرق تنظيراً وتدريساً وتأليفاً.

فمن هم أبرز أعلام المذهب الأشعري في المشرق؟ وما هي أهم آثارهم ومناهجهم؟

نص الانطلاق

قال العلامة المقرئ رحمه الله: «و حقيقة مذهب الأشعري رحمه الله، أنه سلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال، وبين الإثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم، وناظر على قوله هذا، واحتج لمذهبه، فمال إليه جماعة، وعولوا على رأيه، منهم: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المالكي، وأبو بكر محمد بن الحسن بن فورك، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن مهران الإسفرايني، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، والشيخ أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، والإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وغيرهم ممن يطول

ذكره، ونصروا مذهبهم، وناظروا عليه، وجادلوا فيه، واستدلوا له في مصنفات لا تكاد تحصر، فانتشر مذهب أبي الحسن الأشعري في العراق من نحو سنة ثمانين وثلاثمائة، وانتقل منه إلى الشام، فلما ملك السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ديار مصر، كان هو وقاضيه صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني على هذا المذهب...».

[المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، 4/192].

الفهم

الشرح:

- **أهل التجسيم:** القائلون بأن الله جسم من الأجسام.
- **ناظر:** جادل غيره ليثبت دعواه، ويبطل دعوى خصمه.
- **استخلاص المضامين:** أعرف بأهم أعلام الأشاعرة في المشرق ومناهجهم في نصر المذهب الأشعري.

التحليل

سنتناول في هذا الدرس أهم أعلام المذهب الأشعري في المشرق، ونذكر بأهم آثارهم ومناهجهم في نصر المذهب الأشعري والدفاع عنه، وسنخصص بالكلام أربعة أعلام بارزين وهم:

أولاً: أبو بكر الباقلاني

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، ولد سنة 338 هـ وتوفي سنة 403 هـ، كان يضرب المثل بفهمه وذكائه، قال فيه الذهبي: «وكان ثقة إماماً بارعاً، صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضايق، فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر على أصحابه، ذكره القاضي عياض في طبقات المالكية، فقال: «هو الملقب بشيخ السنة، ولسان الأمة، المتكلم على لسان أهل الحديث، وطريق أبي الحسن، وإليه انتهت رئاسة المالكية في وقته، وكان له بجامع البصرة حلقة عظيمة». [سير أعلام النبلاء، 11/13].

يعد القاضي أبو بكر الباقلاني المؤسس الثاني للمذهب الأشعري ، وأحد رموزه الأعلام ، وهو تلميذ لتلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري ، وقد ربط اسمه بالأشعري حتى صار علماً عليه ، يُذكر في نسبه ، فيقال : «أبو بكر بن الطيب الباقلاني الأشعري» ، ولحماسته في الانتساب إلى الأشعري ونصرة مذهبه عده الأشاعرة مجدد المائة الرابعة ، بعد الإمام الأشعري الذي يعتبرونه مجدد المائة الثالثة .

وقد كان للباقلاني أثر واضح في تطور المذهب الأشعري ، فهو يمثل المتقدمين من الأشاعرة ، حيث هذب ما جاء به الإمام أبو الحسن الأشعري ، ووضع المقدمات العقلية التي يتوقف عليها الاستدلال العقدي عند الأشاعرة ، ومن أشهر كتبه في علم الكلام التي ناصر فيها المذهب الأشعري ودافع فيها عن آرائه ومنهجه : «الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به» ، و«تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» ، و«شرح اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع» ، و«الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن» ، و«الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية» ، و«المقدمات في أصول الديانات» ، و«مسائل الأصول» ، و«دقائق الكلام» وغيرها .

ثانياً: أبو المعالي الجويني إمام الحرمين

هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ولد سنة 419هـ ، وتوفي سنة 478هـ . ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد ، ثم إلى مكة والمدينة ، وكان إماماً بهما مدة حتى لقب بإمام الحرمين ، بعد ذلك عاد إلى نيسابور ، فبنى له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية فيها ، وكان يحضر دروسه أكابر العلماء حتى توفي بنيسابور سنة 478هـ ، قال عنه أبو سعد السمعاني : «كان أبو المعالي ، إمام الأئمة على الإطلاق ، مجعاً على إمامته شرقاً وغرباً ، لم تر العيون مثله» . [سير أعلام النبلاء ، 17/14] .

وقد اشتهر الإمام الجويني بنصرته للمذهب الأشعري والدفاع عنه والدعوة إليه حتى صار شيخ الأشعرية وإمام المتكلمين في عصره ، كما عرف بدفاعه عن عقيدة أهل السنة ، ورد الشبهات حولها ، وتفنيد حجج الطاعنين فيها سواء من غير المسلمين أو من الفرق الإسلامية المخالفة ، من خلال منهج عقلائي قوي ، متأثراً في ذلك بدراسته لكتب الفلسفة ، وقوته في علوم المنطق والعلوم العقلية والنقلية وبراعته في علم أصول الفقه والاستدلال والمناظرة ، وقد كان مستقلاً في آرائه يحلل الآراء ، وينقدها ، ليقبل ما يراه حقاً ، ويرفض ما يراه باطلاً ، مما يعتبر تجديداً في المذهب لا

تقليداً فيه، وبذلك يكون الجويني هو المؤسس لمنهج المتأخرين من الأشاعرة.

ومن أهم آثاره في علم الكلام والعقيدة: «الشامل في أصول الدين»، و«الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد»، و«لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة»، و«العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية»، و«الكافية في الجدل».

ثالثاً: أبو حامد الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، أحد أعلام عصره، وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس، ولد سنة 450 هـ، وتوفي سنة 505 هـ، ولد وعاش في طوس، ثم انتقل إلى نيسابور ليلازم أبا المعالي الجويني، فلزمه وأخذ عنه معظم العلوم، ثم رحل إلى بغداد مدرسا في المدرسة النظامية في عهد الدولة العباسية بطلب من الوزير السلجوقي نظام الملك، قال عنه الذهبي: «برع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين». [سير أعلام النبلاء 14/267].

وإذا كان الغزالي قد اشتهر بمناصرته للمذهب الأشعري وبراعته في علم الكلام والمنطق والجدل، إلا أن حياته عرفت مجموعة من المراجعات والمواقف تأرجح فيها بين دفاعه المستميت عن علم الكلام والجدل والمناظرة وعلم المنطق، وبين سلوكه سبيل عقيدة التفويض وميله للتصوف والعناية بالتزكية والتربية الروحية، ويفسر ذلك في كثير من أقواله بأن علم الكلام وما يترتب به من علوم المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة، وأنه لا يحتاجه كل الناس، ومثله بالدواء الذي لا يحتاجه إلا المرضى، ويكون بقدر الحاجة، وأن الاعتراف من كتاب الله مثل الماء الذي يحتاجه كل الناس، حيث قال رحمه الله: «فأدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان، وأدلة المتكلمين مثل الدواء، ينتفع به آحاد الناس ويستضرر به الأكثرون، بل أدلة القرآن كالماء الذي ينتفع به الصبي الرضيع، والرجل القوي، وسائر الأدلة كالأطعمة التي ينتفع بها الأقوياء مرة، ويمرضون بها أخرى، ولا ينتفع بها الصبيان أصلاً». [إجماع العوام عن علم الكلام، ص 5].

وقد ترك الإمام أبو حامد الغزالي تراثاً فكرياً كبيراً ينصر فيه المذهب الأشعري ويدافع عن عقيدة أهل السنة، ويجابه من خلالها دعاوى الطاعنين فيها، ويكفي أن نذكر هنا بأهم كتبه في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة والمنطق، ومن هذه الكتب: «الاقتصاد في الاعتقاد»، و«بغية

المريد في مسائل التوحيد»، و«إلجام العوام عن علم الكلام»، و«المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى»، و«القانون الكلي في التأويل»، و«مقاصد الفلاسفة»، و«تهافت الفلاسفة»، و«معيار العلم في فن المنطق».

رابعاً: فخر الدين الرازي

هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، الطبرستاني الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي، وابن خطيب الري، وسلطان المتكلمين، وشيخ المعقول والمنقول، ولد سنة 544 هـ، وتوفي سنة 606 هـ، وقد نشأ الرازي في بيت علم؛ حيث تتلمذ على والده كما صرح بذلك وقال: «إنه اشتغل في الأصول على والده ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري، وهو على إمام الحرمين، وهو على أبي إسحق الإسفراييني، وهو على أبي الحسن الباهلي، وهو على الأشعري» [إتحاف المريد، 103].

وقد اشتهر الفخر الرازي بموسوعيته ومشاركاته في الكثير من العلوم الشرعية والعقلية، غير أنه سطع نجمه أكثر في علم الكلام والعلوم العقلية؛ حيث فاق أهل زمانه، حتى أصبح سلطان المتكلمين، وهو رائد طريقة المتأخرين في علم الكلام التي تعتمد إدخال الفلسفة ومباحثها في علم الكلام.

ومن ملامح منهجه أنه: يصدر المسائل بقول أهل السنة الذي يصفه بـ «قول أهل الحق»، ثم يعرض آراء المخالفين بشيء من التفصيل، ثم يعرض أدلة كل مذهب أو رأي، ثم يقوم بمناقشتها ويفند آراء وأدلة المخالفين واحداً واحداً، ثم يقوم بترجيح ما يراه صواباً حتى ولو خالف بعض أئمة المذهب دون الخروج عن أصول الاعتقاد في المذهب.

وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام دافع فيها عن المنهج الأشعري في الاعتقاد، منها: «أساس التدريس في علم الكلام»، و«الإشارة في أصول الكلام»، و«المطالب العالية من العلم الإلهي»، و«المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات»، و«معالم أصول الدين»، و«نهاية العقول في دراية الأصول»، و«المناظرات العقدية»، و«مباحث الوجود»، و«مباحث الجدل»، و«الجمل في الكلام».

التقويم

1. أذكر أهم أعلام المذهب الأشعري في المشرق وما تميز به كل واحد منهم.
2. أقرن بين منهج الباقلاني وإمام الحرمين في التنظير للمذهب الأشعري.
3. ما ذا أضاف هؤلاء العلماء إلى منهج الإمام الأشعري؟

الاستثمار

تميز منهج أعلام المذهب الأشعري بالمشرق بطريقتين: طريقة المتقدمين التي يمثلها الإمام أبو الحسن الأشعري وأبو بكر الباقلاني، وطريقة المتأخرين التي يمثلها إمام الحرمين وفخر الدين الرازي.

1. ما المقصود بطريقة المتقدمين وطريقة المتأخرين؟
2. ما الذي ميز طريقة المتأخرين عن طريقة المتقدمين من الأشاعرة؟
3. أذكر بعض الأعلام البارزين من كلا الطريقتين في المشرق.

الإعداد القبلي

أراجع مصادر الأشاعرة، وأبحث عن الآتي:

1. أشهر أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي.
2. أبرز الخصائص التي تميز بها أشاعرة الغرب الإسلامي.